المحاضرة السادسة عشرة

قواعد مهمَّة لاحتواء المشكلات الزوجية

في البداية لا بد من ذكر حقيقة مهمة، وهي أن الحياة الزوجية ليست راحة كلّها، وليست سكوناً كلّها، وليست ودّاً واتفاقاً كلّها، بل راحةٌ حيناً وتعبٌ حيناً آخر، وسرورٌ حيناً وحزنٌ حيناً آخر، واتفاق حيناً واختلافٌ حيناً آخر، ووئامٌ حيناً ومشكلات حيناً آخر... وليس في العالم كله زوجان يخلوان من الاختلاف كلياً، ولا تجد زوجين تسير حياتهما دائماً في اتفاق وودٍّ ووئام، إذ لا بدَّ من الاختلاف، ومن ثَمّ لا بد من المشكلات.

والاختلاف سنة الله تعالى في هذه الحياة؛ إذ قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١/١١٨-١١٩]. فالله جل جلاله قادر على جعل ميول الناس واحدة، ورغباتهم متطابقة، وآمالهم متماثلة، لكنه جل جلاله لم يفعل؛ لأن الحياة بهذه الصورة وبهذا الشكل تغدو قبيحة جداً، فتصور لو كان البشر كلهم يحبون اللون نفسه، والطعام نفسه، واللباس نفسه، وكان صوتهم واحداً، وشكلهم واحداً، ولسانهم واحداً، وحركاتهم واحدة، ونظراتهم واحدة، ويفكرون بالطريقة نفسها... لو كان الأمر كذلك لخربت الدنيا، لهذا

جعل الله تعالى الاختلاف، وسنَّه قانوناً في هذه الحياة وجمَّله؛ لأنه يعطينا التكامل إن استطعنا إدارته بوعي وحكمة.

فكيف يمكن للزوجين احتواء الاختلافات والمشكلات الزوجية؟

كثيراً ما أقول: ليست المشكلة في ذات المشكلة، إنما المشكلة في طريقة التعامل مع المشكلة، وليس الخوف من الاختلاف الواقع بين الزوجين، لكن الخوف -كل الخوف- في طريقة تعامل الزوجين مع هذا الاختلاف.

ثم هناك حقيقة أخرى لا بد لكل شاب وفتاة أن يعلماها، وهي أنّ أصعب سنةٍ في الزواج هي السنة الأولى، على عكس المفهوم الشائع أن الشهر الأول هو شهر العسل، والسنة الأولى هي سنة السعادة، وذلك لأن المشكلات في السنة الأولى كثيرةٌ، وتظهر فيها الاختلافات بأنواعها، وفي السنة الثانية تتحسن طريقة التعامل مع المشكلة، إذ يتدرب الشاب على طريقة التعامل مع زوجته عند المشكلات، وكذلك الفتاة أيضاً، فالسّنة الثانية أفضل من الأولى، والسنة الثالثة أفضل، والرابعة أفضل.. وهكذا، كلَّما طالت الحياة بالزوجين وصلا إلى تفاهم في طريقة التعامل مع الحياة بمختلف مفرداتها.

وهذه بعض القواعد المهمة لاحتواء المشكلات الزوجية:

القاعدة الأولى:

(أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين زوجك)

إذا رأى الزوج في بيته مشكلةً جديدة فليفزع إلى الله تعالى بالاستغفار والتوبة، فلعله عمل اليوم عملاً لم يكن يعمله قبل، ولعله اجترح اليوم ذنباً ما كان أذنبه أمس. كان بعض الصالحين يقول: (إني لأعرف حالي مع الله تعالى من خلق زوجتي). فإن رأى الزوج زوجته تصطنع المشكلات، وتتتبع أموراً ما كانت تتتبعها، ورآها تتصرف على غير عادتها، فلينظر في نفسه، لعله عمل عملاً لا يرضي الله. والعكس صحيح: إن رَأَت الزوجة من زوجها قسوةً أو إعراضاً أو مخاصمةً فلتفزع إلى الله بتوبة وإصلاح. جاء في الأثر: (من أصلَحَ جوانيه أصلح الله له برانيه)، وقال ﷺ: «**من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمَّه من أمر الدُّنيا والآخرة، ومن تشعَّبَت به الهموم لم يبالِ الله في أي أودية الدُّنيا هلك**»[(١)].

القاعدة الثانية:

(ليست المشكلات الزوجية شراً كلُّها، بل ربما كان فيها خير)

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٦].

---

(١) أخرجه الحاكم في: المستدرك.

وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٤/١٩]. لعلَّ أحد الزوجين -أو كليهما- يتضايق من مشكلة في البيت، ويتضجر منها، لكن الله تعالى يهيئ لهما من هذه المشكلة خيراً كبيراً من حيث لا يعلمان. وأوضح مثال على ذلك حادثة الإفك، حين أرجَفَ المنافقون على السيدة عائشة رضي الله عنها، اتَّهموها بالفاحشة مع صَفْوان بن المُعطِّلِ صاحب رسول الله ﷺ، وشاع الخبر في أرجاء المدينة، وتحدّث الناس بهذا الأمر المرعِب[1]، فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور: ٢٤/١١].

فالمقادير لا تجري إلا بخير، ولو اطَّلعتم على الغيب لاخترتم الواقع، فلا تُكثِر التَّذمُّر من مشكلة تطرأ في بيتك؛ لأن هذه المشكلة تخبئ وراءها خيراً كبيراً لك ولزوجك، إن اتقيتما وصبرتما، لكنكما لا تعلمانه، الله يعلمه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/٢١٦]. وقد قال الصالحون: (وراء كلّ محنةٍ مِنحةٌ، ووراء كلِّ بليَّة عطيَّة، ووراء كلِّ عسر يسرٌ، ووراء كلِّ شِدَّة شَدَّة، ووراء كل ضيق فَرَج).

---

(١) ينظر الحديث عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها، منعني طوله من إيراده هنا.

من فوائد المشكلات الزوجية

١- تكفير الذنوب

قال رسول الله ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ**[١]**، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**»[٢]. فالبلايا ممحاة للذنوب، وليست شراً كلّها.

٢- مضاعفة الأجور

ذَكَرَ الله تعالى امرأة فرعون في القرآن الكريم، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ٦٦/ ١١]. ذُكِرَت في القرآن الكريم؛ لإيمانها العظيم، وصبرها، وتحمُّلها لمشكلات زوجها.

أقول: فرعون أسوأ زوج تُبتَلى به زوجةٌ، هو أَكْفَر الكَفَرَة، وأَظلَم الظَّلَمَة، ولَئِن تجرَّأ على رب العالمين، فلابد أنه كان يعتدي على أهل بيته، ويظلمهم ويسيء إليهم. لكن امرأته بإيمانها العظيم بالله تعالى، ثم بصبرها على زوجها صارت من سيدات نساء الجنة، وخلَّد الله اسمها في القرآن الكريم، وجعلها مثلاً

---

(١) النَّصَب: التعب، والوَصَب: المرض والسقم.

(٢) متفق عليه.

للذين آمنوا. قال رسول الله ﷺ: «**سيدات نساء أهل الجنة: مريم بنت عمران، ثم فاطمة بنت محمد ﷺ، ثم خديجة، ثم آسية امرأة فرعون**»(١).

فإن ابتُليَت امرأةٌ بزوج سيِّئ فلتذكر السيدة آسية. وإن ابتُليَ رجل بامرأة سيئة فليذكُر سيدَنا لوطاً عليه السلام، عندما كَفَرَت امرأته به، وتحالفت مع أعدائه عليه.

ذُكِر عن رجلٍ اسمه أبو عبد الله القرشي أنه كان من الصالحين، وكانت امرأته ذات خلق سيِّئ، فكان يصبر عليها، ويتحمَّل أذاها، ويحاول تهذيبها، لكنَّ المرأة بقيت على حالها السيِّئ، لا تتغيَّر ولا تتبدَّل. وفي يوم من الأيام ضاق صدره، ففرَّ من البيت هارباً؛ وخرج إلى الفلاة، وأوى إلى غارٍ فيه عابدان، جلس معهما يتعبَّد الله تعالى طيلة نهاره، ولمّا أمسَوا قام أحد العابدَين ودعا الله تعالى أن يرسِل لهم طعاماً ليأكلوا، فأرسل الله تعالى لهم رجلاً بوعاء فيه طعام يكفيهم، فشكَروا الله وجلسوا يأكلون. وفي مساء اليوم الثاني قام العابد الآخر، ودعا الله تعالى أن يرسِل لهم طعاماً ليأكلوا، فأرسل الله تعالى لهم رجلاً بوعاء فيه طعام يكفيهم، فأكلوا. ولما جاءت الليلة الثالثة قالوا لأبي عبد الله القرشي: قم فادعُ الله لنا أن يرزقنا الطعام، فقال لهم أبو عبد الله: إن حالي ليس كحالكم، ولا أستطيع أن أدعوَ كدعائكم، قالوا: لا بد أن تدعوَ لنأكل، وإلا فارحل عنا، فليس لك بيننا مقام، فألجؤوه للدعاء،

(١) أخرجه الطبراني في: الكبير والأوسط، والحاكم في: المستدرك.

وما إن أنزل يديه حتى أتى رجلٌ يحمل وعاءين فيهما طعام كثير. ذُهِل العابدان!! وقالا له: بماذا دعوتَ الله؟ فنحن نعبد الله منذ سنوات ولا يأتينا إلا وعاء واحد، وأنت لم تجلس معنا إلا يومين فأتاك وعاءان من الطعام!! أخبرنا بماذا دعوت!؟ قال أبو عبد الله القرشي: لم أزد على أني قلت: يا رب، أنا جاهل، وهؤلاء أولياء وصالحون، وأنا لست مثلهم، فأسألك بالدعاء الذي يدعوانك به أن تأتينا بطعام! ثم قال لهما: أخبراني الآن بماذا تدعوان؟ فقالا له: نسمع أن في هذه القرية القريبة رجلاً اسمه أبو عبد الله القرشي، وهذا الرجل مبتَلى بسوء خُلُق زوجته، وهو صابرٌ محتسب، وإنا لنقول: اللهم ببركة صبر أبي عبد الله القرشي على زوجته أنزل علينا طعاماً، فنأكل ببركة صبره عليها. فنظر أبو عبد الله القرشي إلى نفسه وقال: يا نفس، يسأل الصالحون الله تعالى بصبرك، وأنت تأبين الصبر؟! ثم عاد إلى بيته[1].

فالمشكلات الزوجية لها وجه إيجابي، لعلَّ الله تعالى يرفع بها مقام الرجل بصبره، أو يرفع مقام المرأة بصبرها. قال رسول الله ﷺ: «**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأَمثَل فالأَمثل، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْباً اشتدَّ بَلَاؤُهُ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ ابْتُلِيَ على قدْر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يَتْرُكَهُ يمشي على الأرض وما عليه خَطِيئَةٌ**»[2].

---

(١) هذه القصة لا أعلم إن كانت حقيقية، ولعلَّها تربوية.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

٣- التذكير بحقيقة الحياة الدنيا

فالدنيا دار تعب، وإنك لن تجد إنساناً حاز السعادة المطلقة في هذه الحياة؛ ترى رجلاً صحَّته جيدة، ورزقه وافر، لكنَّ امرأته سيئة. وترى آخَر امرأته صالحة، ورزقه وافر، لكنه مريض. وترى ثالثاً صحته جيدة وامرأته جيدة، لكن رزقَه ضيِّقٌ. وترى رابعاً صحته جيدة، وامرأته صالحة، ورزقه وافر، لكنه مبتلى بأولاده... وهكذا الحياة والأحياء.

طُبِعَت على كدرٍ وأنتَ تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار

ومُكلِّف الأيام ضدَّ طباعها متطلِّبٌ في الماء جذوة نار

وللمشكلات فوائد أخرى لستُ بمعرض جمعها هنا.

القاعدة الثالثة:

(في حال حدوث مشكلة لا تلجأ إلى سبعة أمور: ١- الهجر وترك البيت. **٢-** إدخال الأبناء في الخلاف. **٣-** السِّحر والشعوذة. **٤-**طلب الطلاق. **٥-** الدُّعاء بالهلاك. **٦-** التهديد بالزوجة الثانية. **٧-** الضرب والسَّبُّ واللَّعن).

لا تجد منزلاً يخلو من المشكلات، فسيدنا محمد ﷺ خير خلق الله، وزوجاته الكريمات خير نساء الدنيا، وقع في بيوتهنّ خلاف، كالذي كان بينه ﷺ وبين السيدة عائشة رضي الله عنها[1]، وكذلك

(١) والحديث في مسند الإمام أحمد برقم (١٨٤١٨): (جاء أبو بكر يستأذن على النبي ﷺ فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ﷺ...).

اختلف سيدنا علي رضي الله عنه مع السيدة فاطمة رضي الله عنها[١].

ففي البيوت كلها خلافات: بيوت العلماء، والأطباء، والحرفيين، والأصحَّاء، والمرضى...

فإن حَدَثَت المشكلة في البيت فلا تلجأ إلى سبعة أمور:

الأمر الأول: الهجر وترك البيت

من أكبر الأخطاء -إذا وقَعَت المشكلة- أن يترك الرجل بيته ويخرج، ثم لا يعود حتى ساعة متأخّرة من الليل، بحيث يعود بعد نيام الجميع، ظاناً أن المشكلة انتهت، والحقيقة أنها لم تنتهِ، وإنما هرب منها. ولعل المرأة تفعل مثل ذلك، تترك بيتها إذا عرضت مشكلة بينها وبين زوجها، وتمتنع عن التواصل معه، وتَدَع مقاليد الأمور لأمها وأبيها يحلّان المشكلة مع الزوج. ليحذر كل رجل وامرأة من أمثال هذه التصرفات؛ فالمشكلات لا تُحَل بمثل هذه الطرق، بل تزداد تعقيداً. فلا يصح ترك الزوجة بيتَها، بل المأمول منها امتصاص غضب الزوج، والإحسان إليه، إلى أن يهدأ فيتحاوران في المشكلة.

لا يستقيم ترك الزوج البيت، أو إخراج الزوجة منه، بل المرجو من الأزواج كلهم المحافظة على أسرار البيت داخله، وعدم إخراجها أو الخروج بها بعيداً عن بيت الزوجية.

ثم اعلم أن حل المشكلة الواقعة بين اثنين -زوج وزوجة- أسهل

(١) والحديث في الصحيحين: (إنَّ عليًّا خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة...).

بكثير من حلها إذا انتشرت بين العائلتين، وشارك فيها أطراف أُخَر. وكم مرة تَخاصَم زوجان ثم أرادا الصلح؛ لكن طرفاً ثالثاً -كأمِّ الزوج أو أبيه، أو أمِّ الزوجة أو أبيها- منعه. والسبب أنهما أخرجا خلافهما أو خرجا به بعيداً عن بيتهما.

الأمر الثاني: إدخال الأبناء في الخلاف

كأن يقول الأب لأبنائه: أمُّكم فعلت كذا وكذا..، أو تحدِّث الأم أولادها بمشكلاتها مع أبيهم، أو يعلو صوتهما وشجارهما أمام الأبناء.

الأَوْلى حل المشكلات في الغرفة الخاصة، أو على انفراد، أو في وقتٍ يكون فيه الأولاد غائبين عن المنزل. أمّا إدخال الأبناء في الخلاف فيؤثر في نفسية الولد تأثيراً سلبياً، وربما حمله على ترك احترام الأبوين.

الأمر الثالث: السِّحر والشعوذة

تذهب بعض الزوجات عند حدوث مشكلة إلى عرَّافة لتكتب لها ورقة من أجل أن يحبّها زوجها، أو لتسقي زوجها شراباً وضعت فيه حجباً...، تظن بذلك أنها تنهي المشكلة، وربما فعل بعض الرجال ذلك. وكم وقع شرٌّ كبير من وراء هؤلاء السحرة؛ إذ السحر لا يقوم إلا على التعامل مع الجن الكفرة، والتقرب إليهم بأفعال كفر. فكلُّ مَن ذهب إلى ساحر فقد خالف سيدنا محمداً ﷺ في نص الحديث الصحيح: «**اجتنبوا السبعَ المُوبِقَات: الشركُ بالله، والسِّحْرُ، وقتلُ النفسِ التي حرم الله إلا بالحق، وأكلُ الربا،**

وأكلُ مالِ اليتيم، والتولِّي يومَ الزَّحْف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات»[(١)].

فليحذَر الزوجان أن يُضحكَ عليهما، ويُستخَفَّ بعقليهما ودينهما بأوراق مكتوب فيها طلاسم. فالمشكلة في البيت ليس سببها الجن والعفاريت، بل سببها جهل الزوج أو الزوجة، أو سوء خلق أحدهما، أو إساءة تصرفهما.. وعلاج المرض يكون بعلاج السبب، لا بالذهاب نحو السحر والحُجُب. قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٢)]. وفي رواية: «**مَن أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقهُ لم تُقبَل له صلاة أربعين يوماً**»[(٣)].

الأمر الرابع: طلَبُ الطلاق

الطلاق -غالباً- هروب من المشكلة، وليس حلاً لها، والرجل الذي يلجأ إلى الطلاق لحلِّ المشكلة -من دون ضرورة- رجل عاجز؛ لأنه لو لم يكن عاجزاً لاستطاع حلَّها من دون اللجوء إلى الطلاق.

تزوج رجل امرأة ثم طلقها، وتزوج ثانية ثم طلقها، وتزوج ثالثة ثم طلقها، وتزوج رابعة فعندما أراد أن يطلقها استشار رجلاً، فقال

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير، والحاكم في: المستدرك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم.

له: لماذا تريد أن تطلق زوجتك؟ فقال له: النساء كلهن سيئات!! الحق أن مشكلة هذا الرجل ليست في النساء، بل فيه، إذ لم يكن مؤهَّلاً عقلياً ولا نفسياً ولا دينياً ولا أخلاقياً للزواج.

رجولة الرجل في تمسكه بحياته الزوجية، ومحافظته عليها، مع تصحيح الأخطاء فيها، أما لفظ الطلاق فيتقنه الأطفال كما يتقنه الرجال.

وبطولة المرأة في لزومها زوجها وأولادها، ومحافظتها عليهم، مع تصحيح الأخطاء، أما طلب الطلاق فهو ديدن المتسرعات الطائشات.

الأمر الخامس: الدعاء بالهلاك

قد تدعو امرأة على نفسها بالموت، وقد تدعو على زوجها به، وربما فعل هذا الرجل، والدعاء بالسوء مَنهيٌّ عنه شرعاً، قال رسول الله ﷺ: «**لا يَتمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الموتَ مِنْ ضُرٍّ أَصابَهُ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهمَّ أَحْيِني ما كانَتِ الحْياةُ خَيْراً لي، وتَوَفَّني إِذَا كانتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لي**»(١).

والدعوة قد توافق ساعة إجابة، فيستجيب الله تعالى، ثم إذا دعت المرأة على زوجها بالهلاك -والعياذ بالله- أو دعا عليها بذلك، فهل تُحَلّ المشكلة؟! قال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داوود.

الأمر السادس: التهديد بالزوجة الثانية

كأن يقول الرجل لزوجته إنه سيأتي بضرة لها إن استمرت على حالها. تتأزم المشكلات بهذه الطريقة ولا تُحَلّ.

الأمر السابع: الضرب والسَّبُّ واللَّعن

ما كان رسول الله ﷺ طعّاناً ولا لعّاناً[1]، ومحرَّمٌ في شرعنا لعنُ المعيَّن، نعم، يجوز أن تقول: لعنة الله على الكافرين، ويجوز أن تقول: لعنة الله على الظالمين، ولكن يحرمُ أن تقول: لعنة الله على فلان بن فلان، أو أن يقول الرجل لزوجته: لعنة الله عليك، والعياذ بالله؛ لأن اللَّعن: هو الطرد من الرحمة، وإذا طُرِدت زوجتُك من الرحمة فسوف تَقلِب حياتك رأساً على عقب. ولعل زوجة تقول لزوجها: لعنة الله عليك، أو: الله يلعنك، والعياذ بالله، ثمّ بعد ذلك تطلب حلّ المشكلات؟

أقول: كيف ستُحَل المشكلات والزوج يلعن زوجته وهي تلعنه!!؟

ولما كانت حرمة المسلمين عظيمة قال النبي ﷺ: «**سُباب المسلم فُسوقٌ..**»[2]. ولا ريب أن حرمة الأقارب أعظم، فكيف

---

(١) حديث: (لم يكن النبي ﷺ سبَّاباً ولا فحَّاشاً ولا لعَّاناً..) أخرجه البخاري، وحديث: «**إن الله تعالى لم يبعثني طعَّاناً ولا لعَّاناً ولكن بعثني داعية ورحمة..**» أخرجه البيهقي في: الشعب.

(٢) متفق عليه.

برجل يسب والد زوجته، فتسب أمَّه، ويسبُّ أخاها، فتسبُّ أخته...

إن حال هذا البيت يشبِه حال ساحات المصارعة ومشاحَنات الشوارع.

أما الضرب: فإن النبي ﷺ ما ضرب بيده امرأةً قط، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله..**)[١]، وقال: «**لا تَضْرِبوا إماءَ الله**»، **فجاء عمرُ رضي الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: ذَئِرنَ النساءُ على أزواجهن**[٢]، **فرَخَّصَ ﷺ في ضربهنَّ، فأطاف بآلِ رسول الله ﷺ نساءٌ كثير يَشْكُون أَزواجهنَّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد طاف بآل محمَّد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخيارِكم»**[٣]، فإن كان هناك رجل يضرب زوجته فليعلم أنه ليس من خيار هذه الأمة بشهادة رسول الله ﷺ. وفي الحديث: «**ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**»[٤]، وهذه شهادة ثانية من رسول الله ﷺ. فإذا ضرب زوجٌ زوجته أو أهانها، فسكتت الزوجة وحزنت، فليعلم أنه أخذ شهادة من رسول الله ﷺ بأنه لئيم.

هذه الشهادة من النبي ﷺ للرجال، فما بالك إذا كانت المرأة

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) ذَئِرَت المرأة على زوجها: إذا نَشَزَت واجترأت عليه.

(٣) أخرجه أبو داوود والحاكم.

(٤) أخرجه ابن عساكر في: تاريخه.

هي من تهين زوجها، أو تضرب زوجها، عياذاً بالله، قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الرَّجلة**[١] **من النساء**»[٢]، لعنها سيدنا محمد ﷺ نقلاً عن الله تعالى.

إنَّ المشكلة لا تُحَل بهذه الطريقة، قال رسول الله ﷺ: «**يعْمِدُ أحدُكم فَيَجْلِدُ امرأتَهُ جَلدَ العبدِ، فلعلَّهُ يُضَاجِعُها من آخر يومه**»[٣].

لذلك لا يُلجَأ إلى الضرب والشتم والإهانة في حلِّ المشكلة.

القاعدة الرابعة:

(واجه المشكلة بجلسة نقاش)

إذا كان هناك مشكلة بين الزوجين فلا بد أن تواجَه بجلسة نقاش بينهما، ولكن بشروط:

١- **أن يكون هذا النقاش على انفراد:** دون تدخل الأولاد والجوار والأهل...

٢- **بعيداً عن الغضب:** لأن الغضب يفسد الأمور، ويُسقِط الرجال، وهو عاطفة جيَّاشة تغطي العقل، فتمنع التفاهم والتخاطب. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال له رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**»، فاستَقَالَّها الرجل، ثم قال: يا رسول الله، أوصني. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**»، وفي المرة الثالثة قال

---

(١) أي: المترجِّلة التي تَتَشَبَّه بالرجال، في زيِّهم، أو مشيهم، أو رفع صوتهم...

(٢) أخرجه أبو داوود.

(٣) متفق عليه.

الرجل: يا رسول الله، أوصني. فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تفقه؟! لا تغضب**»[1].

ولعل الغاضب يتكلم بكلام يندم عليه لاحقاً، وكثيراً ما يأتي العلماءَ والفقهاءَ أزواجٌ طلَّقوا زوجاتهم في حالة غضب، ثم ندموا أشدَّ الندم، وكثيرات هنَّ النساء اللواتي يصرخنَ في وجوه أزواجهنَّ في لحظة غضب، وبعد أن يهدأنَ يندَمنَ أشدَّ النَّدم.

حدِّثتُ عن رجل ذي مكانة اجتماعية عالية، ضرب ولده على يديه في حالة غضب، لذنب قام به الولد، ومن شدة غضبه لم يضبط عدد الضربات، ولا قوتها، إلى أن استطاعت الأم سحب ولدها من بين ضربات أبيه. وفي صباح اليوم التالي لاحَظ الأبوان انتفاخَ كفي الغلام، مع ازرقاق واحمرار وألم شديد، فأخذاه إلى الطبيب الذي فاجأهما بقوله: إن الكفين بحاجة إلى قطع، وإلا انتشر التموُّت (الغرغرينا) في كامل العضو!! وبعد أن قُطعَت الكفَّان وانتهت العملية وصحا الغلام من التخدير قال لوالده: يا أبي، كيف سأكتب الآن وظائفي، كيف سأستخدم قلم الرصاص؟!

سؤال: كيف تستطيع أن تسيطر على الغضب؟

جواب: خمسة أمور تساعدك على السيطرة عليه:

أولاً- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا

(١) أخرجه بنحوه البخاري والترمذي.

﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٠٠].

وجاء في الأثر: (يقول الله تعالى: «**يا بن آدم، اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحَقُكَ فيمَن أَمْحَق**»)[(١)]. استعِذ بالله في لحظة الغضب، وبشكل دائم.

ثانياً- تغيير الحال؛ إذا كنتَ متحرِّكاً فقف، وإذا كنت واقفاً فاجلس -ولهذا لا تصح جلسة النقاش إذا كان الزوجان واقفين، بل لا بد من الجلوس والاطمئنان- وإذا كنت جالساً فاستلقِ. عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال لنا رسولُ الله ﷺ: «**إذا غضب أحدُكم وهو قائم فلْيجلسْ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»[(٢)].

ثالثاً- الوضوء؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإنَّ الشيطان خُلِق من النار، وإنما تُطْفَأ النار بالماء، فإذا غضبَ أحدُكم فليتوضأ**»[(٣)].

رابعاً- السكوت؛ لا تتكلَّمْ وأنت غضبان، حتى لا تندم إذا ذهب غضبك، ودرِّب نفسك على الصمت كما تتمرن على الكلام.

خامساً- قال رسول الله ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن**

---

(١) عزاه في: (كنز العمال) لابن شاهين عن ابن عباس ﷺ، وبنحوه عند الديلمي عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داوود.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داوود.

يُنْفِذَه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره من الحور العين يزوجه منها ما شاء»[١].

- **سؤال**: ما حكم طلاق الغضبان؟

- جواب: طلاق الغضبان يَقَع باتِّفاق الفقهاء؛ جاء في (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي[٢]: (ولا يصح طلاق المجنون، ومثله المغمى عليه، والمدهوش: وهو الذي اعترته حال انفعال لا يدري فيها ما يقول أو يفعل، أو يصل به الانفعال إلى درجة يغلب معها الخلل في أقواله وأفعاله، بسبب فرط الخوف أو الحزن أو الغضب، لقوله ﷺ: «**لا طلاق في إغلاق**»[٣]، والإغلاق: كل ما يسد باب الإدراك والقصد والوعي، لجنون أو شدة غضب أو شدة حزن ونحوها...). يفهم مما ذكر أن طلاق الغضبان لا يقع إذا اشتد الغضب، بأن وصل إلى درجة لا يدري فيها ما يقول ويفعل ولا يقصده. أو وصل به الغضب إلى درجة يغلب عليه فيها الخلل والاضطراب في أقواله وأفعاله، وهذه حالة نادرة. فإن ظل الشخص في حالة وعي وإدراك لما يقول فيقع طلاقه، وهذا هو الغالب في كل طلاق يصدر عن الرجل؛ لأن الغضبان مكلف في حال غضبه بما يصدر منه من كفر وقتل نفس وأخذ مال بغير حق وطلاق وغيرها).

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود وابن ماجه.

(٢) ٧/ ٣٦٤.

(٣) أخرجه أبو داوود، والحاكم.

٣- لا تذكر الخلافات الماضية

ثالث شروط جلسة النقاش ألَّا تُذكر الخلافات القديمة، وألا تحصى، قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، لا تحصي فيحصي الله عليك**»(١).

أَسَرَّ النبي ﷺ إلى بعض زوجاته حديثاً، وأمرها ألَّا تخبر أحداً بحديثه، فأخبرت به(٢)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم: ٦٦/ ٣]. يعني أن النبي ﷺ لَمَّح ببعض الحديث لزوجته ولم يذكره كله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ﴾، ومن ذلك ورد في الأثر: «ما استقصى كريمٌ قط»(٣)، أي إن الكريم لا يسجِّل العيوب كلها، ليأتي عند المشكلة بذكرها كاملة.

أخبرني رجل فاضل، قال: (في صباح عرسي جاء والدي إلى البيت، وقال لي: يا بني، اجلب لي ورقة وقلم رصاص وممحاة، قال: فنظرتُ إليه، وقلت له: من أين سأجلب الآن وفي هذا الوقت قلم رصاص وورقة وممحاة؟! فقال الأب: يجب أن تأتيني

---

(١) أخرجه أبو داوود والنسائي.

(٢) والحديث عند البخاري برقم (٦٣١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٤).

(٣) أخرجه الدينوري في: المجالسة وجواهر العلم، ١/ ٢٨٧ من حديث سفيان بن عيينة، وعزاه السيوطي في: جامع الأحاديث، والمتقي الهندي في: كنز العمال لابن مردويه من حديث علي رضي الله عنه.

بها، قال: فلم أجد في البيت قلم رصاص أو ممحاة، ومن يخطر بباله أن يُخرِج مع جهاز عرسه قلم رصاص، فنزلتُ إلى البَقالَة وأحضرت قلم رصاص وممحاة، قال والدي: اكتب على الورقة أيَّ شيء تريده، فكتبت جملةً، فقال لي: امحُ ما كتبتَ، فمحوتها، ثم قال لي: اكتب جملة أخرى، فكتبت وقلت: يا أبي، أخبرني ماذا تريد؟!! فقال الأب: امحُ ما كتبتَ، قال: فمحوتُ، وأعاد أبي الكرَّة، فقلتُ له: أخبرني ما الذي تريد أن تقول يا أبتِ؟!! فقال الوالد: يا بني، الزواج يحتاج إلى ممحاة تمحو بها أخطاء زوجتك، فإذا محوتَ دام الودُّ والحب بينكما، أما إذا سجَّلْتَ كلَّ شيء على زوجتك وحفظته، فسيمتلئ دفتر الحياة بالسواد سريعاً).

نعم، في جلسة النقاش لا تذكر القصص والأخطاء القديمة.

ثم اعلم أن الصفة التي تعامل بها الخَلْق يعاملُك بها الحقّ، إذا عفوتَ عن العباد عفا الله عنك، وإذا تتبَّعت عثرات العباد تتبَّع الله عثراتك. قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مَن ولي مِن أمرِ أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه..**»[1].

٤- تكلَّم ودَعِ الآخرين يتكلمون

دَع زوجتك تتكلم، ودعي زوجك يتكلم، فالكثير من الناس يريد عند النقاش أن يتكلم وحده، ويريد من الآخرين أن يسمعوا ولا يتكلَّموا. قال بعض العرب: (لا تنكحوا من النساء ستة:

(١) أخرجه مسلم وأحمد.

لا أنَّانة، ولا منَّانة، ولا حنَّانة، ولا تنكحوا حدَّاقة، ولا برَّاقة، ولا شدَّاقة)، والشدَّاقة هي كثيرة الكلام[١]. فلا بد من أن يتكلم الزوجان ويستمع أحدهما للآخر.

القاعدة الخامسة:

(الوقت كفيل بحلِّ عددٍ من المشكلات)

فليس من الضروري أن تُحَلَّ المشكلةُ الآن، بل نضع حلولاً مقترحة عاجلة أو آجلة، إذ غالباً ما يتغيَّر رأي أحد الزوجين، أو تتغير فِكرتهما عن المشكلة. لنَدَع الوقت يأخذ دوره، ونبين وجهة نظرنا، ونسمع وجهة نظر الآخر، ولنذكر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، مع أنه -جل جلاله- قادر على خلقهن بكلمة: (كن)، ونصر الله تعالى نبيَّه محمَّداً ﷺ بعد ثلاث وعشرين سنة من البعثة، مع أنه -جل جلاله- قادر على أن ينصره من أول دقيقة، لكن علَّمنا -جلّ وعلا- بذلك أن الأمور تجري بمقادير.

إذن، فالوقت مهمٌّ لحلِّ عدد من المشكلات. فلا يصح أن نقول: إنه يجب أن تُحَلَّ المشكلات كلُّها في هذه الجلسة، أو أن نفترق، بل إذا حُلَّ نصف المشكلة أو ربعها قبِلنا، وتركنا الوقت يأخذ دوره لحلِّ الباقي. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢/٢٦٥]، أي إذا لم يأتِ الأرضَ وابلٌ

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ٢/٣٨.

وهو المطر الشديد، فَطَلٌّ وهو المطر القليل. فلا يصح أن نقول: إما أن تمطر المطر الكثير أو لا تمطر أبداً!!

أيها الزوجان: لا تضعا الخيارات الصعبة الفاصلة، ويُلزِم أحدُكما بها الآخر، بل ابحثا عن خيارات وحلول وسطيّة.

القاعدة السادسة:

(التعايش مع المشكلة أحد أنواع الحل)

فأحياناً تجد الأمر مغلَقاً، والحلَّ مستحيلاً، فعليك أن توطِّن نفسك للتعايش مع المشكلة، وأنتَ مأجورٌ على صبرك.

هناك أمراضٌ لا دواء لها، كمرض السكري مثلاً، تجد المريض يتعايش مع هذا المرض، ويتقبل الحياة كما هي، وكذلك إذا رأى أحد الزوجين من الآخر أمراً لا يحبه، ولا يتقبَّله، ولم يستطع تغييره فليدرِّب نفسه على التعايش والتأقلم معه - مادام الأمر ليس حراماً ولا كفراً بواحاً، ولا هو من أسس الحياة الزوجية- وينال بذلك أجرَ الصَّبرِ.

على ألَّا تنسى أن باباً لا يغلق دونك في ليل ولا في نهار، يأتيك منه الفرج من حيث تدري أو لا تدري، إنه باب الدعاء والالتجاء إلى الله.

القاعدة السابعة:

(استشر ثقةً بعيداً)

استشر مَن تثق بدينه وعلمه وأخلاقه، تثق بخوفه من الله، وبخبرته الحياتية.

ومن المهم أن يكون بعيداً عن أسرتك، فلا أنصح زوجاً أن يستشير والده أو والدته في حلِّ مشكلة بينه وبين زوجته؛ لأن العاطفة ستتدخل، وكذلك الفتاة، لا يُنصَح أن تستشير أمها بمشكلة بينها وبين زوجها، بل لتستشر امرأة بعيدةً، موثوقةً، عالمة عابدة ولها خبرة في الحياة.

فإن كان في العائلة كبير -كجدٍّ أو عمٍّ- يوثَق بعقله وخبرته فيُستَشار.

ومن المتفق عليه ألَّا يُستَشار الرجل الفاسق غير الثقة الذي لا يخاف الله ولا يرعى حرماته.

هذه سبع قواعد مهمَّة في احتواء المشكلات الزوجية:

١- أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين زوجك.

٢- ليست المشكلات الزوجية شراً كلُّها، بل ربما كان فيها خير.

٣- في حال حدوث مشكلة لا تلجأ إلى سبعة أمور.

٤- واجه المشكلة بجلسة نقاش.

٥- الوقت كفيل بحلِّ عددٍ من المشكلات.

٦- التعايش مع المشكلة أحد أنواع الحل.

٧- استشر ثقةً بعيداً.

والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ أزواجنا ويحفظ أهلينا ويسلِّمنا.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٤].

آمين.